الأَديبْ و المُفكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
عودة إلى الماضي

الحلقة الواحدة والثلاثون

مقدمة البرنامج..

مؤثرات.....

سالم : أيها الأخوة.. عندما يقال ديانات سماوية فالحقيقة أنّنا لا نقصد بهاتين الكلمتين غير دين واحد هو دين الله الخالد في الأرض، إنّه دين الإسلام. صحيح أنّ الرسالات قد تعدّدت في دنيا الناس وأنّ الرسل قد تعاقبوا تعاقب هذه الرسالات كلهم جميعاً كانوا ينادون بالوحدانية ويقرّرون حقيقة أساسية واحدة هي ربوبية الخالق عز وجل وعبودية الإنسان له..

مساعد : وما يقرّره الأخ سالم ليس بدعاً من الرأي ولا هو ممّا يفاجأ به المسلم الواعي بأبعاد دينه والعارف بما جاء في كتاب الله.. فقد قال عز وجل في محكم تنزيله : " إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ".. وقد اختلف الناس بعد كلّ نبي من الأنبياء منهم من اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً فغيّر في نصوص الوحي طمعاً في ربح مادي.. ومنهم من غيّر وبدّل جهلاً منه أو عصبية منه لبعض ما نشأ عليه قومه.. ومنهم من اختلط عليه الأمر فظنّ وحياً ما ليس بالوحي.. فإذا جاء القرآن الكريم لم يعد حفظ الوحي من التغيير والتبديل مسؤولية البشر بل أصبح من أمر الله. ولذلك قال الله عز وجل في هذا المعنى : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "..

سعيد : هل نفهم من هذا الكلام أنّكما تناديان صراحة بالعودة إلى الماضي في كلّ شيء؟ وأنكما تنكران على الإنسان حقه في أن يفكر وأن يبدع؟ ألا تعتقدان أنّ استمرار حركة الحياة يعني الاستمرار في التفكير والتقدم؟

صالح : هذا سؤال يطرحه الأخ سعيد باسمي أيضاً.. وإذا كنّا نريد جواباً شافياً مقنعاً عنه فلأنّنا نريد أن نعلم ما لا نعلمه حتى الآن..

سالم : السؤال يا سعيد ويا صالح في مكانه ولا حرج عليكما في توجيهه، أمّا الجواب عنه فهو نعم ولا.. نحن نطالب بالعودة إلى الماضي من ناحية ولا نطالب بالعودة إليه من ناحية أخرى..

سعيد : حسن.. فما هو الماضي الذي تطالبون بالعودة إليه؟

سالم : إنّ ما نطالب بالعودة إليه يا سعيد هو ما لا يتغير ولا يتبدل هناك حقائق ثابتة هي بمثابة القوانين الخالدة في منطق العلماء بل هي أشد ثباتاً من تلك القوانين.. فإذا قلنا بالعودة إلى ثقافة الإيمان وقرّرنا بأنّ الإيمان بالله هو أبجدية كلّ تحرّك بشري فنحن لا نكون من أنصار الجمود والتخلّف بل من أنصار الحق الذي هو مصدر كلّ طاقة محركة بل مصدر كلّ انطلاقة سليمة في مجتمع الإنسان. إنّ الوحدانية تبقى هي الوحدانية منذ الأزل حتى الأبد.. ودعوتنا إليها هي دعوة للعودة

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

إلى الماضي.. لكنّ هذا الماضي هو الزمن الذي ينسحب على كلّ زمن قبله أو بعده لأنّه يرمز إلى الحق الثابت الخالد الذي لا يفنى بينما يفنى كل ما سواه..

صالح : لكنّ العودة إلى الماضي ليست بوقوفه على الدعوة إلى الإيمان بالوحدانية وحسب.. إنّ هناك أوامر ونواهي كثيرة جاءت على صورة تشريعات وما تزال حتى اليوم رغم تغيّر أشكال الحياة وتعاقب الأحداث. فبماذا نفسر هذه العودة؟

مساعد : ومن قال لك يا صالح أنّ الحق هو في الوحدانية وحسب. فالقرآن جاء بالحقّ وبالحقّ نزل.. وما جاء في القرآن ليس دعوة إلى الوحدانية فقط وإن كانت الوحدانية هي رأس هذا الدين وعموده، بل جاء أيضاً بحقّ آخر أثبتت التجربة والملاحظات الموضوعية السليمة أنه ثابت لا يتغير أيضاً.. إنّ ما جاء من الحرام البيّن والحلال البيّن، وبالتالي ما جاء من الأوامر الواضحة والنواهي الثابتة الحاسمة لا يقبل التغيير لأنه مرتبط بقواعد وقوانين ثابتة أيضاً.. ولا يغيّر من ثبات هذا الحق أنّ كثيراً من الناس قد اختلفوا فيه متأثرين بشهوات نفوسهم أو بسوء إدراكهم أو بتأثرهم بجهالات مختلفة صنعتها عقائد سابقة وأفكار بالية قديمة..

سعيد : هل تعني بهذا يا أخ مساعد أنّ حرية الفكر عند المسلم هي فيما سوى الأوامر الصريحة والنواهي الثابتة التي جاءت في كتاب الله والسنة الصحيحة؟

مساعد : بلى.. يا سعيد.

سالم : والواقع أنّ الشريحة التي بقيت هدفاً لفكر الإنسان وموضوعاً لاجتهاده هي شريحة واسعة جداً.. وقد تحدّدت لنا هذه الشريحة بالعودة إلى الماضي أيضاً حيث نجد أمامنا نصاً حول الحق الذي جاءت به السماء.. كما نجد نصاً على المنهج الذي يفترض في المسلم أن يتخذه وسيلة يهتدي بها ويستبين عن طريقها مواطن الخير والشر والحق والباطل والهداية والضلالة..

صالح : هل نستطيع أن نكوّن فكرة سريعة عن أبعاد هذه الشريحة التي تتيح للمسلم فرصة واسعة للتفكير والإبداع والتقدّم؟

مساعد : طبعاً يا أخ صالح.. هناك مثلاً الدعوة الصريحة إلى النظر في خلق السماوات والأرض والسير في مناكب هذه الكرة التي نعيش فوقها والتعرّف إلى ما فيها من النعم.. أوَليست هذه الدعوة قادرة على استقطاب كامل النشاط العقلي عند الإنسان؟

سعيد : الواقع أنّ الإنسان حتى اليوم رغم انصرافه الكلي إلى اكتشاف أسرار الكون وقوانينه وسنن الطبيعة وخفاياها ومواطن الخصب في الكائنات الحية ما يزال يجد نفسه عند شاطىء المعرفة..

سالم : وعلى ذلك، وفي ضوء ما قرّره الأخ مساعد، ليست العودة إلى الماضي سجناً للعقل ولا تجميداً لنشاط الفكر الإنساني بل هي على الضد من ذلك دعوة للانفتاح أمام عقل الإنسان. انفتاح يعجز العقل عن الإحاطة بجوانبه كلّها..

صالح : حسن جداً.. فهل يعني هذا أنّ باب المعرفة موقوف على متابعة الوقائع المادية والكشف عن القوانين التي تنظم حركة الكون والطبيعة؟

مساعد : كلا يا صالح فهناك إلى جانب الكون والطبيعة مجموعة الكائنات الحية وهي حافلة بالمئات والألوف من القوانين والأسرار العجيبة. والواقع أنّ علماء الحياة ما يزالون يجدون أنفسهم رغم كلّ ما حقّقوه بمثابة مبتدئين في العوم في محيط هذا العلم العظيم..

سالم : لكن هناك معرفة من نوع آخر.. إنّها لا تتناول الوقائع المادية وقوانينها.. ومظاهر الحياة وسننها.. بل تتناول تلك القوة الخفيّة والعالم الواسع العظيم الذي به أصبحنا ما نحن عليه كائنات مسؤولة أو خلائف لله في الأرض. هذه المعرفة تأتينا من سبل غير سبيل التجربة والاستقراء. إنها تأتينا بالتأمل الذاتي والتطهّر.. وبعبارة أخرى بالتقوى.

سعيد : هل هي المعرفة التي يرمز إليه قول الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله "وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ"؟

مساعد : بلى.. إنها هي بالذات يا سعيد..

صالح : إذاً فأنتم تدعون الناس إلى إحياء مدارس التصوّف التي تنادي بأنّ المعرفة الحقة هي التي يتوصّل الإنسان إليها بالرياضيات الروحية والعبادات وحسب.

سالم : كلا يا صالح.. نحن لا نقصد إلى إحياء مدارس التصوّف أبداً. بل ندعو إلى الوقوف عند الحدود التي عيّنت لنا من قبل الله سبحانه وتعالى.. فقد أمرنا بالتقوى.. والتقوى في معناها الحقيقي توجّه إلى الله عز وجل في كلّ أمر حين نقيم الصلاة ونصوم شهر رمضان وحين نقوم بكلّ نشاط من أنشطتنا الدنيوية. إنّ التوجّه إلى الله في صدق وعمق وضراعة هو التقوى.. فبها تتفتّح مغاليق العقول.. وتصفو نظرات الأفئدة.. وتشيع روح الهداية.. لا أكثر ولا أقل.. أما ما وراء ذلك فليس من التقوى في شيء بل هو خروج عن الحدود التي عيّنتها لنا العناية الإلهية.

سعيد : أعتقد أننا بدأنا ندرك بشيء من الوضوح معنى العودة إلى الماضي التي طالما تردّدت دعوتكما إليها..

صالح : وهذا المفهوم يدلّنا إلى أنّ ما يسمى اليوم بمسيرة الحضارة هو كلّ ما يستوعبه النشاط العقلي والخلقي والروحي في حياة المسلمين اليومية.

مساعد : هذا صحيح.. وأحبّ بهذه المناسبة أن أقول لمن يريد أن يسمع: إنّ التقدّم الحقيقي لا يعني دعوة إلى التغيير لمجرد التغيير.. حتى الحيوانات التي تتحرّك بحكم الغريزة ترفض التغيير لمجرد التغيير.. إنّها تغير في ضوء الغرائز التي خلقت فيها.. أما الإنسان فإنّ التغيير عنده يفترض أن يكون مستضيئاً بمنهج معين في التفكير والسلوك، فإن لم يكن له هذا المنهج سقط في الفوضى وبالتالي ضيّع كلّ فرص التقدّم والتطوّر..

سالم : هل أقول لكم أكثر من ذلك؟ إنّ إلقاء نظرة سريعة على قوانين عالم النبات تعلّمنا أنّ النباتات خاضعة لقوانين معقدة ثابتة وهي تتطور وتنمو في ضوئها لا تخرج عليها أبداً.. فإذا فرضنا أنّ الفوضى قد شاعت في حركة النباتات كان الدمار.. تماماً كما يكون الدمار في بنية الجسد عندما تشيع الفوضى في الحركة والتغير في خلاياه المختلفة..

سعيد : هل صحيح يا أستاذ مساعد أنّ العودة إلى الماضي الذي تحدثوننا عنه تساعدنا على تنظيم حركة التقدم؟

مساعد : طبعاً يا سعيد.. لقد وهبتنا العناية الإلهية عقولنا لنتعلم بها ونكتشف بواسطتها سنن الخلق وقوانين الموجودات.. والكشف المطلوب هو أمر إلهي.. فإذا أحسنّا التعلّم والكشف ثمّ عملنا بما كشفنا عنه وتعلمناه فقد عرفنا أسرار التقدّم في مسيرة الحضارة ولا يبقى لنا غير ما ينفع الناس في الأرض.. أما الزبد فيذهب جفاء وضياعاً لا قيمة له..

سالم : كلمة أخيرة أختم بها هذا الحوار فأقول: من هنا نبدأ.. وبهذه العودة الواعية إلى الماضي ننطلق في مسيرتنا نحو المستقبل.. بها نعرف الثابت وبفضلها نكتشف ما يقبل التغير وما يجب بالتالي أن يتغيّر في ضوء سنن وقوانين بذلت لنا في الأكوان والمخلوقات التي سخرت لنا دون استثناء..

صالح : شكراً لكما.. وعساكما في لقاء آخر أن تتابعا معنا قصة بناء الإنسان المسلم والمجتمع المسلم لا سيما وأنّنا أحوج ما نكون إلى معرفة هذه القصة كاملة غير منقوصة..

موسيقى نهاية.....